عنوان الدرس الحادي عشر والثاني عشر : النظرية الطبيعية والتاريخية للأسطورة

مقدمة :

اعتبر علماء المثيولجيا ان الاسطورة هي طفولة العقل البشري و بدايات تعبيره عن الحقائق التي كانت تؤرقه وفراح يبحث لها عن تفسيرات لتلك الظواهر الطبيعية وفق احتكامه لرؤى خيالية أخذها عن الاائل بحجة ان لهم القدرة الهائلة على اختراع اساطيرهم و اختلاق أديانهم وهذا التفكير بني على جهلهم العقلي بتلك القوى الطبيعية او ماتسمى بالماورئيات التي تعد بمثابة الغيب والقوى الخفية و الأسرار و السحر بالنسبة اليهم فلما نضج العقل اعتمد العلم بدلا من الأساطير لكن عند العلماء المعاصرين من خلال محاولتهم لتفسير الأساطير و البحث في نشأتها و بدايتها و اسبابها نجدهم

لا يتفقون على اسباب محددة فجيمس فريزر و ادوارد تايلور يريان ان كلمة اسطورة ترتبط ببداية الانسانية حيث كان البشر يمارسون السحر و طقوسهم الدينية التي كانت سعيا فكريا لتفسير ظواهر الطبيعة

اما ليفي برول فهو يرى ان الاساطير لم تنشا فيما يبدو عن حاجة الرجل البدائي الى تفسير الظواهر الطبيعية تفسيرا قائما على العقل كان لا يعرف مجالا مستقلا لنفسه عنها لكن نشات استجابة لعواطف الجماعة القاهرة

وفي قضية تفسير االصل نشاة الاسطورة يقر توماس بوليفينشي في كتابه ميثيولوجيا اليونان و روما و جود نظريات اربعة في اصل الاسطورة احدهما تكلمنا عنهما وهذه المحاضرة سنتطرق للنرية الطبيعية

ان أصحاب هذا الاتجاه يرون نشأة الأسطورة تعود إلى الظواهر الكونية التي أثارت انتباه الإنسان و شدت تفكيره فالعالم فونتا يرى ان الإنسان القديم قام بتكوين التصورات و من ثم سحب هذه التصورات على الطبيعة و هي تصورات وجدت بشكل مطابق لدى الشعوب كافة و في جميع الأزمان و قد عبر فونتا عن هذه التصورات بقوله :*انها النتاج الضروري الواعي المكون للأسطورة و ان الارواحية البدائية هي التعبير الفكري عن حالة البراءة البشرية* فهي النظرية التي تعتقد ان كل من عناصر الطبيعة الماء و الهواء و النار تتخذ هيئة اشخاص او كائنات حية او تحتفي على مخلوقات خاصة و بذلك كان تفسير كل مظاهر الكون مثل الشمس و البحر و القمر كائن حي يتمثل فيه و تبنى عليه أسطورة الأساطير *

الا ان هناك بعض علماء التاريخ المثيولوجي اختلفوا في تفسير نشأة الأسطورة فهناك من يرى من الصعب تحديد الأسباب التي أدت الى الى نشأتها *فمنهم من يرى كلمة الأسطورة ترتبط ببداية الحياة على الأرض حيث كان البشر يمارسون السحر ويستحضرون الأرواح الشريرة و يؤدون طقوسهم الدينية لأجل التعايش مع الطبيعة و الرغبة في تفسير ظواهرها *

فمنذ نشأة الإنسان على هذه الحياة البسيطة و هو يحاول تفسير الطواهر الطبيعية عن طريق السحر و ممارسة الطقوس الدينية و استحضار الأرواح الشريرة و محاولة ربط تفسيراتهم بلا معقول و بلا منطق

ان الإنسان القديم لم يستطع تفسير الطواهر الكونية تفسيرا علميا بالوجوه الحقيقية انها تعمل على نسق مغاير

و بواسطة بنى مختلفة فتحفظ بالأصناف بدلا من الأحداث

و بالمناهج القديمة بدلا من الشخصيات التاريخية *

النظرية التاريخية :

ترى هذه النظرية ان عديد من الاساطيرقاموا بأعمال خارقة و عظيمة و بعد عقود من الزمن اضاف اليها خيال الشعراء من مميزات غرائبية و عجائبية جعلتها تنتمي إلى الأسطورة فهذه النظرية تعيد نشأة الأسطورة الى التاريخ البشري المقدس *فالأسطورة من هذا المنطلق هي تاريخ مقدس و بالتالي هي تفسير حقيقيا للحوادث البشرية في عهودها السحيقة كالأساطير التي تتكلم عن العادات و التقاليد و القيم و الأساطير التي تتكلم عن المعتقدات الدينية او عن الحروب و الانقلابات فهذه الأساطير ليست إلا تاريخا للبشرية الأولى*

اذن من خلال الأساطير ر يمكن ان نتعرف على عادات و تقاليد الشعوب الغابرة و هذا بفضل التاريخ الذي اسهم

في معرفة الأوضاع و الظروف التي كانت سائدة في تلك المجتمعات

* ومن الملاحظ ان الأساطير أعطتنا جزءا من تاريخ الشعوب الغابرة و هذا بفضل التاريخ الذي اسهم في معرفة الأوضاع و الظروف التي كانت سائدة في تلك المجتمعات

*